اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي. 2مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. 3لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ. لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ. 4إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ. 5الرَّبُّ حَافِظُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. 6لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ. 7الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ. يَحْفَظُ نَفْسَكَ. 8الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ.

الرب حافظك

هذا ثاني ترانيم المصاعد، كانوا يرنمونه بعد بدء رحلة الحُجاج من مختلف البلاد متَّجهين إلى هيكل الله، ليعيّدوا له. وترمز هذه الرحلة الروحية لكل حياة إيمانية، فمع أن المؤمن يعيش في العالم المتعب، إلا أنه ليس منه، كما صلى المسيح لأجلنا: «لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدِّسهم في حقك. كلامك هو حق» (يو 17: 15–17). لهذا تتَّجه قلوبنا دائماً في رحلة روحية إلى أعلى لنأتنس بالرب في بيته المقدس.

في المزمور المئة والعشرين تطلع المرنم المتألم المتضايق إلى الرحلة الروحية التي سترفعه من ضيقه لأنه يتقرَّب إلى الله، فترك أرض التعب بادئاً حجَّه المقدس إلى أورشليم. لكنه يعلم أنه سيلاقي مخاطر في سفره، لأن الطرق لم تكن آمنة، كما نفهم من مثَل السامري الصالح عن اليهودي المسافر من أورشليم إلى أريحا، الذي طلع عليه اللصوص وسلبوا ماله وجرحوه وتركوه بين حي وميت، فعطف عليه سامري أجنبي عنه في الدين واللغة، وأنقذه (لو 10).

رأى المرنم حاجته إلى الحماية، فرفع عينيه إلى الرب الذي منه يأتيه العون والحفظ وهو يذكر وعد الله لجدِّه الأكبر يعقوب، فقد طمأنه الرب وهو يقوم برحلته من بيت أبيه إلى بيت خاله، وقال له: «أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردُّك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتُك به» (تك 28: 15).. وما أن رفع المرنم صوته بالترتيل حتى جاءه التشجيع من زملائه المسافرين معه، يؤكدون له أن الله سيحفظه ويحفظهم معه من كل شر.

كان الداخل إلى هيكل أورشليم يجد على يمينه غلافاً معدنياً بداخله ورقة كُتبت عليها آيات من التوراة، منها: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك.. اكتُبها على قوائم بيتك» (تث 6: 4–9). «إذا سمعتُم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها.. تكثُر أيامك وأيام أولادك على الأرض» (تث 11: 13–21)، ومنها الآية الأخيرة من مزمورنا: «الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر» (آية 8).. فكان المؤمن عند دخوله الهيكل يلتفت يميناً ويلمس الغلاف المعدني رمزاً لثقته في الرب الذي يحقق مواعيده لكل من يحب الرب بكل قلبه وبكل نفسه، ويحفظه دائماً في كل تحركاته من خروج ودخول.

في كتاب «سياحة المسيحي» تخيَّل الكاتب يوحنا بنيان أن كل مؤمن يقوم برحلة روحية يخرج فيها من مدينة الهلاك ويتَّجه إلى المدينة السماوية، وهي رحلة تُعرف بدايتها بأنها «ولادة جديدة». وفي أول الطريق قابل السائح «بالوعة يأس» التي كان يمكن أن يغرق فيها لولا تمسُّكه بثقته في ربِّه، فانتصر على اليأس واستمر في رحلته المليئة بالمصاعب التي اضطرت البعض أن يرتدّوا عن طريق الرب، لأنهم لم يركزوا نظرهم على الرب، بل على قدراتهم الذاتية وعلى صعوبات الطريق. ويجرِّب الشيطان كل سائح روحي يسافر نحو المدينة السماوية أن يحوِّل عينيه عن الله مصدر المعونة، فيفقد السلام والاطمئنان.

ما أحوج كل حاج روحي في بداية رحلته أن يرتِّل كلمات هذا المزمور ليتشجَّع، وليشجِّع غيره من المؤمنين، فيثبتون حتى نهايتها، ويتعلمون أن يتكلوا على أمانة الرب وحده.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يطلب العون (آيتا 1، 2)

ثانياً – مرنم آخر يدعو له بالعون (آية 3)

ثالثاً – جوقة المرنمين تؤكد له العون (آيات 4–8)

أولاً ـ المرنم يطلب العون
(آيتا 1، 2)

«أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» (آيتا 1، 2). مدينة أورشليم مبنيَّة على سبعة تلال، فرفع المرنم من بعيد عينيه إلى التلال السبعة، وركَّز انتباهه على الجبل الذي بُني عليه الهيكل، وفيه كان الرب يحل بالمجد الدائم، حيث تابوت العهد، وكهنة الله العلي الذين يرفعون لله تراتيل الهتاف. ويؤمن المرنم أن الرب في هيكل قدسه، فلتصمُت كل الأرض في حضرته إجلالاً، ولتمتدَّ يد معونته إلى عبده (حب 2: 20).

وربما طلب المرنم المعونة الإلهية لأنه رأى خطراً يتهدَّده هو شخصياً، أو يهدد الحجاج المسافرين معه إلى الهيكل. وقد يكون أنه رأى خطراً محدقاً بالهيكل من أعداء الرب الذين اشتكى منهم في المزمور السابق، فبدأ يرفع عينيه إلى الجبال، لا لأنه كان ينتظر المعونة من الجبال، بل من خالق الجبال، فقد قال النبي إرميا: «حقاً باطلةٌ هي الآكامُ ثروةُ الجبال. حقاً بالرب إلهنا خلاص إسرائيل» (إر 3: 23). إنه يرفع عينيه من الجبال إلى الهيكل المبني فوق الجبل، حيث بيت صانع السماوات والأرض، ويردِّد: «بصوتي إلى الرب أصرخ، فيجيبني من جبل قُدسه» (مز 3: 4). «الرب يحامي عني. يا رب، رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (مز 138: 8).

إن الله موجود في كل مكان بصورة عامة، ولكنه موجود بصورة خاصة في مكان السجود والعبادة، بين المؤمنين. «المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع بل يسكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (مز 125: 1، 2).

في مطلع مزمورنا يعبِّر المرنم عن ثقته ورجائه في الرب، وهو متأكد من حصوله على المعونة من القادر على كل شيء، لأنه خالق كل شيء. وما أعظم الفرق بينه وبين الأصنام «الآلهة التي لم تصنع السماوات والأرض تبيد من الأرض، ومِن تحت هذه السماوات. صانع الأرض بقوَّته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه بسط السماوات» (إر 10: 11، 12).. «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً، عوناً في حينه» (عب 4: 16). ويا لها من محبة سماوية تعطي بسخاء ولا تعيِّر. «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة. يرفعون أجنحةً كالنسور» (إش 40: 31).

ثانياً ـ مرنم آخر يدعو له بالعون
(آية 3)

سمع أحد الحجاج دعاء المرنم وهو يطلب المعونة من صانع السماوات والأرض، فتوحَّد معه بقلبه، وضمَّ صوته إلى صوته، وأجابه بدعاء، وبكلمة تشجيع:

1 – دعاء: «لا يدع رِجْلك تزلّ» (آية 2أ). «لا يدع» في اللغة العبرية الأصلية للمزمور وردت في صيغة الأمر، وكأن الحاج يقول: أطلب من الله ألا يدع رجلك تزل، بل يثبِّتك وأنت تصعد إلى هيكل الرب. أدعوه أن يمنع القلق من أن يسيطر عليك، ويدفع عنك وعنا الخطر ويُعطيك السلام والاطمئنان.

ما أجمل أن نصلي من أجل بعضنا، ونضم أصواتنا إلى أصواتهم الداعية، فقد «ردَّ الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه» (أي 42: 10)، «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدَّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (2أخ 16: 9) «في كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين» (أم 15: 3) «ليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب 4: 13). فلنشجِّع بعضنا بعضاً، واثقين مطمئنين أنه «طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه. من السماوات نظر الرب. رأى جميع البشر. من مكان سُكناه تطلَّع إلى جميع سكان الأرض» (مز 33: 12–14).

2 – تشجيع: «لا ينعس حافظك» (آية 2ب). ثم شجع المسافر زميله بأن الله لا يدركه النوم، فهو لا ينعس. لسان حاله يقول: «لأني عالمٌ بمن آمنت، وموقنٌ أنه قادرٌ أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (2تي 1: 12).. ولعل المرنم كان يذكر سخرية النبي إيليا من عبَّاد الوثن وهم يصلّون لأصنامهم، فقال لهم: «ادعوا بصوتٍ عالٍ لأنه إله! لعله مستغرقٌ أو في خَلوة، أو لعله نائم فيتنبَّه» (1مل 18: 27).

ثالثاً ـ جوقة المرنمين تؤكد له العون
(آيات 4-8)

بعد أن عبَّر المرنم عن حاجته إلى معونة الرب، وبعد أن ردَّ عليه أحد الحجاج بالدعاء والتشجيع، انضم إليهم جمهور المسافرين وصاروا جوقة ترتيل واحدة.

1 – الرب لا ينام: «إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (آية 4). هذا تأكيد لما قاله الزميل. أحياناً نستنتج بأناسٍ نائمين فلا يغيثوننا، لكن الآب السماوي لا ينعس ولا ينام. فلو أن النوم لم يواتك في أي ليلة، فلا تتردَّد في أن تدعو إلهك الذي لا ينعس ولا ينام. لن يغضب منك لأنك أزعجته، فإن «لذَّاته مع بني آدم» (أم 8: 31).

لا بدَّ أن أفراد جوقة المرنمين كانوا يذكرون تاريخ شعبهم وآلامهم في مصر عندما كان فرعون يسومهم سوء العذاب، وكيف سمع الرب صراخهم وخلَّصهم بيده القوية، وعالهم أربعين سنة في البرية بالماء من الصخرة، والمن والسلوى. «كان الرب أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم» (خر 13: 21).

هذا الإله العظيم الذي عمل المعجزة الكبيرة مع بني إسرائيل يريد أن يُجري معك المعجزات. جميع شعور رؤوسنا محصاة (مت 10: 30)، وهو يعرفك باسمك (إش 43: 1)، وقد نقشك على كفَّيه (إش 49: 16). وحتى لو ضللت يعرف أنك ابتعدت، فيفتش عليك حتى يجدك (لو 15: 4).

2 – الرب يظلل: «الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى» (آية 5). «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت.. بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي» (مز 91: 1، 4). إن الرب «كمخبإٍ من الريح، وستارة من السيل، كسواقي ماءٍ في مكان يابس، كظل صخرة عظيمة في أرض مُعيية» (إش 32: 2).. عندما تبعت راعوث الموآبية حماتها نُعمي قال لها بوعز: «ليكافئ الرب عملك، وليكُن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را 2: 12)، وكافأ الرب راعوث المؤمنة، فصارت جدَّة الملك داود، الذي جاء المسيح (حسب الجسد) من نسله.

ويقول المرنمون إن الرب «ظِلٌّ لك عن يدك اليمنى» فهو أقرب إلى كل حاج من مدينة أورشليم التي يحج إليها. ونحن لا نحتاج أن نسافر إلى مكان معيَّن لنلتقي بالرب، لأنه «عن يدك اليمنى». قال المرنم: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز 16: 8) «لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلِّصه من القاضين على نفسه» (مز 109: 31).

3 – الرب يحمي: «لا تضربك الشمس في النهار، ولا القمر في الليل» (آية 6). بسبب حرارة الجو كان الحاج يسافر جزءاً من النهار وجزءاً من الليل، ويستريح في الظهيرة، فكان محتاجاً للرعاية ليلاً ونهاراً، وهذا ما يؤكِّده له زملاؤه في هاتين الآيتين. وقد فعله الله مع النبي يونان وهو متعَب في نينوى «فأعدَّ الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه، ليخلِّصه من غمِّه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً» (يون 4: 6). وكان الأقدمون يقولون إن النوم في ضوء القمر يصيب النائم بمتاعب عقلية. ويؤكد المرنمون أن الله لن يسمح لمحبِّيه بضربة شمس في النهار، ولا بضربة قمر بالليل!

4 – الرب يحفظ: «الرب يحفظك من كل شر. يحفظ نفسك» (آية 7). يحفظ الرب أجساد المؤمنين ويحفظ نفوسهم أيضاً من كل شر، فقد استجاب صلاة يعبيص التي قال فيها: «ليتك تباركني، وتوسِّع تخومي، وتكون يدك معي، وتحفظني من الشر حتى لا يتعبُني» فآتاه الله بما سأل (1أخ 4: 10). طلب يعبيص من الرب بركات روحية وبركات جسدية، لأنه كان يدرك أنه يمكن أن يمتلك الكثير من متاع هذا العالم، لكن «متى كان لأحدٍ كثير فليست حياته من أمواله» (لو 12: 15)، و«بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد (الله) معها تعباً» (أم 10: 22). لهذا طلب يعبيص من الله أن يحفظه من الشر. حقاً «أكْلَةٌ من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بُغضة.. لقمة يابسة ومعها سلامة خيرٌ من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم 15: 17 و17: 1).

«وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام. ولتُحفَظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح» (1تس 5: 23).

5 - الرب يحمي دائماً: «يحفظ دخولك وخروجك من الآن وإلى الدهر» (آية 8). الدخول والخروج يرمزان إلى بداية أمرٍ ونهايته، على المستويين الشخصي والعام. ويؤكد المرنمون شدَّة الاحتياج لحماية الرب في بداية رحلة الصعود إلى هيكل الرب، كما في رحلة العودة، ليتحقق الوعد: «مباركٌ تكون في دخولك، ومبارك تكون في خروجك» (تث 28: 6). «الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع، مجيئاً يجيء بالترنم حاملاً حُزمه» (مز 126: 6). «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمِّل إلى يوم يسوع المسيح» (في 1: 6). «من قِبل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسر. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مُسندٌ يده» (مز 37: 23، 24). «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلِّصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور. آمين» (يه 24، 25).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِدَاوُدَ

1 فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: «إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ». 2تَقِفُ أَرْجُلُنَا فِي أَبْوَابِكِ يَا أُورُشَلِيمُ. 3أُورُشَلِيمُ الْمَبْنِيَّةُ كَمَدِينَةٍ مُتَّصِلَةٍ كُلُّهَا، 4حَيْثُ صَعِدَتِ الأَسْبَاطُ، أَسْبَاطُ الرَّبِّ شَهَادَةً لإِسْرَائِيلَ، لِيَحْمَدُوا اسْمَ الرَّبِّ. 5لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ، كَرَاسِيُّ بَيْتِ دَاوُدَ. 6اسْأَلُوا سَلاَمَةَ أُورُشَلِيمَ. لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ. 7لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ، رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ. 8مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِي وَأَصْحَابِي لأَقُولَنَّ: «سَلاَمٌ بِكِ». 9مِنْ أَجْلِ بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِنَا أَلْتَمِسُ لَكِ خَيْراً.

الفرح ببيت الرب

هذا مزمورٌ لداود، كان بنو إسرائيل يرنمونه في حجِّهم السنوي عندما يبلغون أسوار المدينة المقدسة وتقف أرجلهم في أبوابها. لقد تركوا أرض المتاعب التي اشتكى منها المرنم في مزمور 120، وهو يبدأ رحلة المصاعد، واستجاب الله صلاتهم التي رفعوها في مزمور 121، وأعانهم وحفظهم وأوصلهم بسلام. ويقول بعض المفسرين إن داود نظم هذا المزمور بعد نقل تابوت عهد الرب إلى مدينته، وبعد أن وعده الرب أن يحفظ كرسيَّه، وأن يبني له بيتاً، بمعنى أن يعطيه نسلاً يملك على شعبه.

في هذا المزمور يقول المرنم إنه فرح جداً عندما سمع أهله وجيرانه يدعونه لينضمَّ إلى موكب المسافرين للحج إلى هيكل الرب. وعندما بلغ أسوار المدينة المقدسة امتلأ عقله بذكريات الأسباط وتعاملات الرب معهم، فصلى طالباً البركة والأمان للمكان وللعابدين.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الفرح بسلامة الوصول (آيتا 1، 2)

ثانياً – ذكريات مقدسة (آيات 3–5)

ثالثاً – صلاة واثقة (آيات 6–9)

أولاً ـ الفرح بسلامة الوصول
(آيتا 1، 2)

1 – فرح سماع الدعوة: «فرحت بالقائلين لي» (آية 1أ). كل مؤمن يفرح بسماع الدعوة ليتقرَّب من الرب طاعة للوصية الرسولية: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع 4: 8). ويرسل الرب لنا دعوات مستمرة، أولها دعوة التوبة «توبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (أع 3: 19)، وعندما نقع في الخطية نسمع الدعوة «اذكُر من أين سقطت وتُب» (رؤ 2: 5)، وعندما نتعب وننئ نسمع الدعوة «تعالوا إليَّ يا جميع المتعّبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (مت 11: 28).

والرب يدعونا بآية من كلمته المقدسة، أو بلمسة محبة من عطائه، أو بتأديب يوقظنا من ضلالنا، أو بكلمة من صديق يدعونا «إلى بيت الرب نذهب». وما أسعد الإنسان الذي يفرح بالدعوة ويقبلها، عالماً أن الذي يُقبِل إلى الله لا يخرجه خارجاً (يو 6: 37)، وهو «يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون» (1تي 2: 4).

في مثَل الابن الضال لم يكن الابن واثقاً من قبول أبيه له، بعد أن عصاه وبذَّر أمواله. ولكن أباه رحَّب به وفرح بعودته. والسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، كما أن الفرح يغمر نفس التائب بتوبته.

وكل من يحب الله يحب بيته، ويفرح بالصلاة فيه، فيبدأ بالقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» ويختم بالقول: «أسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» (مز 23: 1، 6). ويردد: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك» (مز 5: 7). وعندما نبدأ رحلتنا مع الله سنكتشف أنه «تسير شعوب كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبُله» (إش 2: 3). لأنه «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز 119: 105).

2 – فرح شركة المؤمنين: «إلى بيت الرب نذهب» (آية 1ب). فرح المرنم بالدعوة، وفرح أنه سينضم إلى مجموعة رائعة من محبّي الرب، يتعبَّدون له فتطمئن قلوبهم. كان كالجائع الذي وجد من يدعوه للخبز، وكالعطشان الذي سمع من يدعوه إلى ينبوع

ماء مع أصدقاء فرحين. وشركة المؤمنين تُفرح القلب، إذ يشجِّع بعضهم بعضاً.. في كتاب «سياحة المسيحي» ليوحنا بنيان بدأ السائح رحلة السفر إلى المدينة السماوية وحده. أما زوجته فإنها عندما بدأت رحلتها اصطحبت أولادهما معها، وكم كان فرح قلبها بصُحبة كل عائلتها المتوجِّهة معها إلى المدينة السماوية، ولسان حالها يقول: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب» (إش 8: 18).

في بيت الرب يجد المتعَب راحة لنفسه، كما قال داود: «واحدةً سألت من الرب.. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله» (مز 27: 4). عندما واجه المرنم آساف مشكلة نجاح الأشرار وتعب الأبرار، وجد الحل في بيت الرب، فقال: «حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهت إلى آخِرتهم» (مز 73: 17). وعندما وصلت رسائل ملك بابل إلى الملك حزقيا يسخر فيها منه ومن إلهه، وجد حزقيا راحته في بيت الرب «فأخذ حزقيا الرسائل من يد الرسل وقرأها، ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا أمام الرب» فأنقذه الرب (إش 37: 14).

3 - فرح العبادة: «تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم» (آية 2). يعطي العالم فرحاً مؤقتاً لا يستمر، أما فرح الرب فهو قوتنا «لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (مز 84: 10). ما أجمل أن نقترب من بيت الله ولو كنا «واقفين»، فالوقوف يعني اليقظة والاستعداد للطاعة.

ثانياً – ذكريات مقدسة
(آيات 3-5)

1 – العودة للمجد الأول: «أورشليم المبنيَّة كمدينة متَّصلة كلها» (آية 3). عندما استولى داود على حصن اليبوسيين «أقام داود في الحصن، لذلك دعوه مدينة داود، وبنى المدينة حواليها من القلعة إلى ما حولها» (أخ 11: 7، 8). ولكن البابليين جاءوا وهدموا أسوار أورشليم وخربوا بيوتها ودمَّروا هيكلها، وسبوا المقتدرين والمتعلمين من أهلها. وبعد سبعين سنة ردَّ الرب سبي شعبه، فرجع كثيرون من المسبيين مع عزرا الكاتب وبدأوا يبنون الهيكل. وعادت مجموعة أخرى مع نحميا الوالي وبدأوا يبنون الأسوار متَّصلة ببعضها بغير ثغرة ولا فجوة (نح 2: 17 و7: 4). فأُعيد بناء البيوت المهدَّمة، وأصبحت المدينة متكاملة الأسوار والهيكل والمباني. وكان سكانها يداً واحدة، يتعبَّدون معاً ويبنون معاً، بقلب واحد وروح واحد.

وينطبق التعبير «متَّصلةٌ كلها» على الحياة الروحية، فمع أننا من خلفيات وثقافات وأحوال اقتصادية واجتماعية متنوعة، إلا أننا متساوون أمام الله خالقنا والمعتني بنا وفادينا. وفي الكنيسة ننسى ألقابنا ومن أين أتينا، ونكتفي بأن نُعرف أننا أبناءٌ لأبٍ واحد. وهذا الانتساب يربطنا معاً كعائلة وإخوة بعضنا لبعض، نشبه أحجاراً حية في بناء واحد، نضع أيدينا في أيدي بعضنا لنؤدي رسالة واحدة، كالأغصان في كرمة المسيح. ونتمسَّك بالرجاء أن لنا مسكناً سماوياً يجهِّزه المسيح لنا (يو 14: 1–4)، لأننا سياح مسافرون من مدينة الهلاك إلى المدينة السماوية «جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتُم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحد. إيمان واحد. معمودية واحدة. إلهٌ وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم» (أف 4: 4–6).

2 – ذكر المراحم الأولى: «حيث صعدت الأسباط، أسباطُ الرب. شهادةً لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب» (آية 4). يذكر المرنم بفرح أن له تراثاً تاريخياً غنياً من العبادة لله والتعييد له، فقد اعتاد الأسباط أن يقوموا برحلة العبادة إلى هيكل الرب ثلاث مرات في السنة، طاعةً للأمر الإلهي، مرتان في الربيع في عيد الفطير وعيد الأسابيع، ومرة ثالثة في الخريف للاحتفال بعيد المظال. «ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك، في المكان الذي يختاره، في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال. ولا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده، كبركة الرب إلهك التي أعطاك» (تث 16: 16، 17).

وعيد الفطير هو عيد الفصح (بمعنى: عيد العبور) وهو الاحتفال بعبور الملاك المهلك عن بيوت بني إسرائيل فلم يوقع بهم ضرراً، بينما قتل الابن البكر في بيوت المصريين. وسُمي عيد الفطير لأنهم لم يكونوا يأكلون فيه خبزاً مختمراً.. وأما عيد الأسابيع فهو عيد الخمسين ويُسمَّى أيضاً يوم الباكورة، وهو احتفال شكر لأجل الحصاد، وكان التقليد اليهودي يقول إن الشريعة أُعطيت لموسى في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر.. وعيد المظال يذكرون فيه إقامة بني إسرائيل في مظال أثناء سفرهم في البرية، فكانوا يقيمون المظال في الساحات وعلى السطوح، ويسكنونها سبعة أيام.

وفي كل حج يشهد بنو إسرائيل لفضل الله عليهم، في عبور الملاك المُهلك عنهم، وفي إعطائهم الشريعة، وفي عنايته بهم في سنوات التيه الأربعين.

3 – الشكر على العدالة: «لأن هناك استوت الكراسي للقضاء، كراسيُّ بيت داود» (آية 5). فوَّض الرب الملك ليحكم بين الناس بالعدل، وكان الملك يفوِّض قضاةً من العائلة المالكة ومن أعيان الشعب فيجلسون على كراسي القضاء لينصفوا المساكين ويحاموا عن اليتيم والأرملة. وكان المؤمنون يتوقَّعون أن يُجري الله عدلاً على فم الملك وبواسطة رجاله، فيقولون لله: «لأنك أقمت

حقي ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً عادلاً» (مز 9: 4)، ويباركهم بأن «يُخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مز 37: 6).

ولأن الكراسي استوت للقضاء، فلا يجب أن نأخذ حقوقنا بأيدينا «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو 12: 19).

ولا شك أن عدالة الله الآن بين الناس بالملك العادل والقضاة الأمناء رمز للعدالة الأخيرة يوم نقف جميعنا أمام كرسي المسيح، نعطي حساباً عما فعلنا. وهذه إشارة إلى مُلك الرب السعيد «الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض» (مز 97: 1).

ثالثاً ـ صلاة واثقة
(آيات 6-9)

عندما بلغ المرنم أبواب أورشليم امتلأ قلبه بالشكر لله، وبدأ يصلي من أجل المدينة العظيمة، حيث هيكل الرب، المكان الذي فيه تابوت العهد بين الرب وشعبه والذي بدونه لا تكون هناك ذبيحة كفارية.

واليوم ونحن ندرس هذا المزمور نرفع عيوننا لا إلى مدينة مادية في موقع جغرافي، ولكن إلى أورشليم السماوية، كما قال الله: «لأني هأنذا خالقٌ سماوات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق، لأني هاأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي، ولا يُسمع فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ» (إش 65: 17-19). وأورشليمنا السماوية هي كنيسة المسيح الروحية غير المنظورة، التي قال عنها يوحنا الرائي: «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزيَّنة لرجلها» (رؤ 21: 2).

ويقدِّم الوحي تعريفاً لشعب الله، فيقول: «لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس، بل من الله» (رو 2: 28، 29). وهذا التعريف يوضح طبيعة ملكوت الله: أن كل الذين قبلوا المسيح فادياً ومخلِّصاً، سواء جاءوا من أصل يهودي أو من أية خلفية أخرى هم شعب الله، لأنه «ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل» (كو 3: 11). وهؤلاء هم شعب الرب الحقيقي. لقد جاء المسيح «إلى خاصته، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 11، 12). وقد بكى المسيح على المصير السيء لأورشليم الأرضية، وقال لها: «إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أُخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيامٌ ويحيط بكِ أعداؤكِ بمترسة، ويُحدقون بك ويحاصرونك من كل ناحية، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لو 19: 42-44).

وفي نور هذا التفسير الروحي تعالوا نتأمل صلاة المرنم.

1 – طلب سلامة المدينة: «اسألوا سلامة أورشليم. ليسترِحْ محبّوك. ليكُن سلام في أبراجك، راحةٌ في قصورك» (آيتا 6، 7). أورشليم معناها مدينة السلام، والمرنم يطلب أن يكون حالها مشابهاً لاسمها، عندما يصلي المؤمنون لأجلها، فيُقال: «صوت ترنُّمٍ وخلاص في خيام الصدِّيقين. يمين الرب صانعةٌ ببأس» (مز 118: 15). وعندما تُستجاب الصلاة يستريح العابدون الذين جاءوا ليعيِّدوا للرب في أورشليم، وتكون الأبراج المقامة على أسوارها في سلام بلا هجوم من عدو، وتكون قصورها في سلام بسبب الوفرة والنجاح. «دوروا حولها. عُدّوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارسها. تأملوا قصورها لكي تحدِّثوا بها جيلاً آخر، لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد» (مز 48: 12-14).

والدعاء أن يكون السلام في الأبراج، والراحة في القصور يعني الراحة من الهجمات الخارجية ومن الانقسامات الداخلية، كما حدث مع الكنيسة الأولى «كان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع 9: 31).

2 – طلب سلامة المؤمنين: «من أجل إخوتي وأصحابي لأقولنَّ: سلام بكِ» (آية 8). يعتبر المؤمن باقي المؤمنين إخوته وأصحابه، كما قال داود للشعب: «اسمعوني يا إخوتي وشعبي» (1أخ 28: 2). وقال المسيح: «من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي» (مت 12: 50). والمؤمنون جميعاً إخوة «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو 8: 29). وعندما نصلي من أجل الإخوة نصلي من أجل نهضة الكنيسة، وراعي الكنيسة، الذي يسميه المسيح في سفر الرؤيا «ملاك الكنيسة». وعندما ينهض المؤمنون تنهض الكنيسة. لذلك يقول المرنم إنه من أجل إخوته وأصحابه الذين يصلّون فيها ليقولنَّ: سلام لجماعة المؤمنين. «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (في 4: 7).

3 – طلب سلامة بيت الرب: «من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً» (آية 9). كان بيت الرب مبنياً في المدينة المقدسة، فمن أجل سلامة بيت الرب يطلب السلامة للمدينة، لأن الهيكل هو قلب العبادة، وقلب المدينة كلها. وقد وُصف نحميا بأنـــه «رجـــلٌ يطلب خيراً لبني إسرائيل» (نح 2: 10). فلنطلب سلامة الكنيسة وكل مدينة تُقام فيها كنيسة، ليتكرر ما حدث في يوم الخمســـين إذ «انضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.. وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلُصون» (أع 2: 41، 47).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 إِلَيْكَ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ يَا سَاكِناً فِي السَّمَاوَاتِ. 2هُوَذَا كَمَا أَنَّ عُيُونَ الْعَبِيدِ نَحْوَ أَيْدِي سَادَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْنَيِ الْجَارِيَةِ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا، هَكَذَا عُيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلهِنَا حَتَّى يَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا. 3ارْحَمْنَا يَا رَبُّ ارْحَمْنَا، لأَنَّنَا كَثِيراً مَا امْتَلأْنَا هَوَاناً. 4كَثِيراً مَا شَبِعَتْ أَنْفُسُنَا مِنْ هُزْءِ الْمُسْتَرِيحِينَ وَإِهَانَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

ترأّف علينا

افتتح المرنم مزمور 121 بالقول: «أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» وأمدَّه الله بالمعونة في السفر، ووقف في أبواب أورشليم فامتلأت نفسه هدوءاً وسكينة، وبدأ يرتل مزمورنا: «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السماوات» لأنه شعر باحتياجه الدائم، فرفع عينيه وثبّتهما على ساكن السماوات، لأنه الرب الحي الذي يحيا في داخله. كان واثقاً من وجوده وأنه يجازي الذين يطلبونه، فوقف أمام الهيكل كعبدٍ ينتظر تعليمات سيده باتضاع كامل. وهو يعلّمنا احتياجنا الدائم إلى رفع عيوننا إلى الله، لأن العالم حولنا والجسد فينا يشدّان التفاتنا إلى أسفل، ويضعان في طريقنا المتاعب والضيقات. فإذا كنا متعَبين نتجرَّب بأن نحوِّل عيوننا عن الرب، وننظر لمواردنا الذاتية، أو نتوقَّع معونة البشر من حولنا، وننسى أن الرب قال: «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه.. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكله» (إر 17: 5، 7) فلنجتهد بكل قلوبنا أن تتجه أنظارنا دائماً إلى ساكن السماوات.

يبدأ المزمور بصيغة المفرد «إليك رفعتُ» ولكنه سرعان ما يصبح ترتيلة المؤمنين جميعاً، فيتحوّل إلى صيغة الجمع «هكذا عيوننا نحو الرب». فلنرتل معهم هذا المزمور لنتشجع ونستمر في رفع النظر إلى الرب «حتى يترأف علينا».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – نظرة إلى الأعالي (آيتا 1، 2)

ثانياً – طلب الرحمة (آيتا 3، 4)

أولاً ـ نظرة إلى الأعالي
(آيتا 1، 2)

1 – نظرة إلى صاحب الجلال: «إليك رفعت عينيَّ يا ساكناً في السماوات» (آية 1). بعد أن تحدَّث المرنم عن الرب في مزمور 121 تحدَّث في مزمورنا إلى الرب. وبعد أن كان ينظر إلى الجبال، رفع عينيه إلى ساكن السماوات، فصار أكثر اقتراباً منه. وارتقت العلاقة بينهما وتعمَّقت، فرأى الرب ملكاً وحاكماً للعالم كله، فهو رب العالمين «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيُّه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم» (مز 11: 4).. وكأن المرنم يقول: «عيناي دائماً إلى الرب، لأنه يُخرِج رجليَّ من الشبكة» (مز 25: 15). «إن إلهنا في السماء، كلما شاء صنع» (مز 115: 3).. رأى النبي إشعياء مجد الرب في هيكله، وسمع السرافيم تهتف له: «قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش 6: 3) فأدرك أن القدوس ساكن السماء يملأ مجده كل الأرض، وهو الوحيد الذي يستحق أن نرفع عيوننا لأنه الساكن في السماوات والفعّال في الأرض، وطرقه كلها حق، وهو الذي يسرع لمعونتنا بطرقه العجيبة التي لا تخطر لنا على بال، ويقول لنا: «لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إش 55: 9).

2 – نظرة إلى صاحب السلطان: «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها..» (آية 2أ، ب). في نور رؤية الرب ساكناً في السماوات، صاحب كل السلطان في السماء وعلى الأرض، رأى المرنم نفسه عبداً للرب. والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرَّفون بالعبودية له، لأن هذه العبودية هي الحرية الكاملة، فهي الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي». ولقب العبد والأَمَة لقب محبَّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث 34: 5 و1أي 6: 49)، وعلى يشوع (يش 29: 24 وقض 2: 8)، وعلى إيليا (1مل 18: 36)، وعلى دانيال (دا 6: 20)، وعلى بولس (رو 1: 1)، وعلى بطرس (2بط 1: 1)،

وعلى يعقوب (يع 1: 1)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (1بط 2: 16). وأطلقه داود على أمه، فقال: «لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك» (مز 116: 16)، وأطلقته العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أَمَة الرب» (لو 1: 38).

وتفرِّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترَى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه ينتمي إلى ذلك البيت (تك 14: 14). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (2تي 1: 5).

والمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر 21: 5)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز 84: 10).

تطلَّع المرنم بنظرة واسعة فرأى الله ساكناً في السماوات، وركَّز النظر فرأى يده تُهدي البركات لأنها مُحبَّة سخية، وتَهدي إلى الصلاح لأنها صالحة وأمينة ولا تُضلُّ أحداً. فأدرك أنها يدُ صاحب السلطان الذي يجب أن نطيعه، كما أنها يد المنان الذي يجود علينا. فلنُطِع توجيهات صاحب اليد الكريمة لننال بركاته، ولتنفتح عيوننا وآذاننا إلى تعليماته، ولنقُل له: «ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت» (مر 14: 36). وحينئذ نخلُص وندخل ونخرج ونجد مرعى (يو 10: 9)، ونقول: «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟ كأسَ الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو» (مز 116: 13).

(أ) **يد الرب تَهدي**: في كل رحلة حياة المؤمن يمد الرب يده إليه، كما فعل مع شعبه في القديم «فرعاهم حسب كمال قلبه، وبمهارة يديه هداهم» (مز 78: 72)، ونسمعه يقول: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8).

(ب) **يد الرب تعطي**: فلا نخاف ولا نقلق لأنه يهتم بكل خليقته «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز 104: 27، 28). ويقول المرنم: «كنت فتى وقد شخت، ولم أرَ صدِّيقاً تُخُلِّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز 37: 25). قال الرب للنبي إيليا: «أمرتُ الغربان أن تعولك هناك» (1مل 17: 4)، فسخَّر الغربان التي تخطف ليخدموا نبيَّه إيليا.

(ج) **يد الرب تحمي**: «لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترسٍ تحيطه بالرضا» (مز 5: 12). ويطمئن الله شعبه بكلمات داود وهو يقول لجليات: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبتُرس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود.. لأن الحرب للرب» (1صم 17: 45–47). ويقول عن كل مؤمن: «لأنه تعلَّق بي أنجيه. أرفِّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجِّده» (مز 91: 14، 15).

(د) **يد الرب تصحِّح**: هو الأب الحنون الذي يهتم بنقاوة حياة أولاده، ويريدهم طاهرين، فيوصيهم: «لا تشاكلوا (لا تكونوا على شكل) هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المَرْضيَّة الكاملة» (رو 12: 2). وعلينا أن نقاوم الخطية، فإن لم نفعل يؤدبنا ليقوِّمنا، كما قال الوحي: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية، وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟» (عب 12: 4–7). «فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه» (1بط 5: 6).

(هـ) **يد الرب تكافئ**: هي تؤدبنا إن أخطأنا، وتكافئنا إن أحسنّا، كما قيل عن عزرا الكاتب الذي قاد مجموعة كبيرة من بني إسرائيل ليرجعوا إلى أرضهم بعد أن أصدر كورش الفارسي أمره بالرجوع من السبي: «عزرا هذا صعد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل. وأعطاه المَلِك كل سؤله، حسب يد الرب إلهه عليه.. لأنه في الشهر الأول ابتدأ يصعد من بابل وفي أول الشهر الخامس جاء إلى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه» (عز 7: 6، 9). ووصف هو هذا بقوله: «وقد بسط عليَّ رحمة أمام الملك ومشيريه، وأمام جميع رؤساء الملك المقتدرين. وأما أنا فقد تشدَّدتُ حسب يد الرب إلهي عليَّ، وجمعت من إسرائيل رؤساء ليصعدوا معي» (عز 7: 28).

3 – نظرة إلى صاحب الرأفة: «هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا» (آية 2ج). ستظل عيون العبيد متعلِّقة بيد السيد حتى يفيض عليها برحمته. كان المصلوبان يجدِّفان على المسيح ويسخران منه، ولكن عيني المصلوب التائب تثبَّتتا على المسيح، فرأى فيه ما لم يرَه فيه الأغلبية، فقد رأى فيه رباً. ووجد عنده ما لم يجده الأغلبية، فقد رآه صاحب ملكوت، فقال له: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» فأسبغ عليه عظيم رحمته وجاوبه: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس»

(لو 23: 42، 43). ما أعظم رحمة الله على كل خاطئ تائب، والرحمة هي التي تمنع عنا العقاب الذي نستحقه. «ترأف على عبيدك. أشبِعنا بالغداة من رحمتك، فنبتهج ونفرح كل أيامنا» (مز 90: 13).

هناك حرب مستمرة بين الحية ونسل المرأة، وسيظل إبليس يحارب المؤمنين بغير هوادة ولا توقُّف، فلنركز عيوننا على يد الرب حتى ننال رأفته، لأنه وعدنا بالنصرة. «ينتظر الرب ليترأف عليكم، ولذلك يقوم ليرحمكم، لأن الربَّ إلهُ حقٍّ. طوبى لجميع منتظريه» (إش 30: 18).

ثانياً ـ طلب الرحمة
(آيتا 3، 4)

امتلأت نفس المرنم بالسعادة لأنه صعد إلى جبل الرب، ولكنه كان يعلم أنه لا بد أن يترك هيكل الرب وينزل إلى الوادي ويعود إلى مهام حياته العادية وسط الأشرار، حيث يواجه المتاعب، فطلب من الرب الرحمة.

1 – طلب الرحمة من خطاياه: «ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً» (آية 3). وسبب الهوان الأول هو الخطية والبُعد عن الله. ويقف المرنم في موقف طالب الرحمة، كما وقف العشار من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهمَّ، ارحمني أنا الخاطي» (لو 18: 13). و«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (1يو 1: 9) «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرَح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي 7: 19).

2 – طلب الرحمة من الهزء والإهانة: «كثيراً ما شبعت أنفسنا من هزء المستريحين وإهانة المستكبرين» (آية 4). يطلب المرنم الرحمة من المسيئين إليه، الذين يسمّيهم المستريحين والمستكبرين. و«المستريحون» هم الذين يعيشون في رغد ولا يهتمون بالله بل بنفوسهم. ولا تعنيهم متاعب شعب الله ما داموا هم في راحة. وتنحصر كل آمالهم في مواردهم الشخصية ونفوذهم الاجتماعي أو السياسي بسبب ما لديهم من ثروة وأصدقاء وأسرة، وهم يهزأون بالأبرار، ويستهينون بالحياة المقدسة، ويسخرون من الذين يخافون الرب. ويقول عنهم عاموس، نبي العدالة الاجتماعية: «ويل للمستريحين في صهيون، والمطمئنين في جبل السامرة» (عا 6: 1).

أما «المستكبرون» فليسوا كباراً إلا في نظر أنفسهم. قال عنهم المرنم: «المستكبرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتك لم أمِل. تذكرتُ أحكامك منذ الدهر يا رب، فتعزَّيت» (مز 119: 51، 52).

وقد درج «المستريحون والمستكبرون» على الهزء بشعب الرب وإهانتهم. وهذا ما جرى عندما أراد نحميا أن يبني أسوار مدينة الله «لما سمع سنبلط الحوروني، وطوبيا العبد العموني، وجشَم العربي، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا: ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟.. وكان طوبيا العموني بجانبه فقال: إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم. اسمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً» (نح 2: 19 و4: 3، 4). وهذا ما حدث للمسيح، فهو «محتقَر ومخذولٌ من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن، وكمستَّر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتدَّ به» (إش 53: 3). وعلى الصليب «كان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم.. وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلَّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها.. أيضاً كان اللصان اللذان صُلبا معه يعيِّرانه» (مت 27: 39–44). وعندما نلجأ إلى المسيح الذي تجرَّب في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية، نجده قادراً أن يعين المجرَّبين.

ونحن نتلو هذا المزمور مع صاحبه، دعونا نثبت النظر على يد الله الهادية المعطية، ولا نحوِّل النظر عنها أبداً. وإن كنا نختبر هواناً فلنرفع عيوننا للرب فننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه (عب 4: 16).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِدَاوُدَ

1 «لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا». لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: 2«لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا عِنْدَ مَا قَامَ النَّاسُ عَلَيْنَا، 3إِذاً لاَبْتَلَعُونَا أَحْيَاءً عِنْدَ احْتِمَاءِ غَضَبِهِمْ عَلَيْنَا، 4إِذاً لَجَرَفَتْنَا الْمِيَاهُ، لَعَبَرَ السَّيْلُ عَلَى أَنْفُسِنَا، 5إِذاً لَعَبَرَتْ عَلَى أَنْفُسِنَا الْمِيَاهُ الطَّامِيَةُ». 6مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي لَمْ يُسْلِمْنَا فَرِيسَةً لأَسْنَانِهِمْ. 7انْفَلَتَتْ أَنْفُسُنَا مِثْلَ الْعُصْفُورِ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِينَ. الْفَخُّ انْكَسَرَ وَنَحْنُ انْفَلَتْنَا. 8عَوْنُنَا بِاسْمِ الرَّبِّ الصَّانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.

«لولا الرب»

هذا خامس مزامير المصاعد التي كان بنو إسرائيل يرتلونها وهم يحجّون إلى الهيكل المبني على جبل، فكان صعودهم جغرافياً وروحياً. ونرتِّلها نحن اليوم لأننا في رحلة صعود روحي، نعلو فيه ونرتفع في علاقتنا بالرب وننمو في النعمة وفي معرفة المسيح. فليكن كل يوم من أيام حياتنا تدرُّجاً في زيادة الطاعة لله، وفي الرفعة في محبتنا له ولإخوتنا البشر، فتتشكَّل حياتنا لتكون على صورة حياة المسيح.

في المزمور السابق حكى المرنم عن اختبار أليم امتلأت فيه نفسه بالهوان وشبعت إهانة من المستكبرين، فطلب رحمة الله من عدوه المتكبر، فآتاه الله بخلاص عظيم. وفي هذا المزمور يعدِّد إحسانات الرب، ويدعو المؤمنين ليشكروا الله ويسبحوه ويعلنوا ثقتهم فيه.

ولا نعرف بالضبط المناسبة التي كُتب فيها مزمورنا، ولعلها مهاجمات سنبلَّط وطوبيّا والعرب والعمونيين والأشدوديين الذين تآمروا معاً ليحاربوا نحميا وجماعته من بُناة الأسوار (نح 4: 7–23).. وصلى نحميا وأصحابه وأقاموا حراساً نهاراً وليلاً. ولما كمل السور سقط الأعداء في أعين أنفسهم وعلموا أن بناء السور كان من عند الرب (نح 6: 16).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة للشكر (آيتا 1، 2)

ثانياً – إحسانات الرب العديدة (آيات 3–7)

ثالثاً – إعلان الثقة في المستقبل (آية 8)

أولاً ـ دعوة للشكر
(آيتا 1، 2)

«لولا الرب الذي كان لنا، ليقُل إسرائيل، لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا» (آيتا 1، 2). مرتان يكرر المرنم: «لولا الرب الذي كان لنا» ليؤكد الحقيقة الأساسية أنه «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي، قال رب الجنود» (زك 4: 6).. وهذا ما قاله يعقوب أبو الأسباط لخاله وحميه لابان، بعد أن خرج الخال وراء صهره ليهاجمه، فأوقفه الرب، وفي هذا الموقف قال يعقوب: «لولا أن الرب إله إبراهيم وهيبة إسحاق كان معي لكنت الآن قد صرفتني فارغاً. قد نظر الله مشقَّتي وتعب يديَّ، فوبَّخك البارحة» (تك 31: 42). وقال المرنم: «لولا أن الرب مُعيني لسكَنَتْ نفسي سريعاً أرض السكوت» (مز 94: 17). وهو ما قاله نحميا وهم يهاجمونه وقت بناء السور: «إلهنا يحارب عنا» (نح 4: 20). ولا بد أن المرنم كان يذكر خوف شعبه وأمامهم البحر الأحمر ووراءهم الجيش المصري، وموسى يقول لهم: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر 14: 14). حقاً «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو 8: 31).. «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم. ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 7، 8). «على الله توكلت فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان؟» (مز 56: 11).. «الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟» (مز 118: 6).

«لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا» (آية 2). ما أعظم الفرق بين الذي معنا والذين علينا! معنا الرب سيد الأرض كلها، خالقها وصاحب السلطان فيها، و«إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو 8: 31).. «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم. ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 7، 8). أما «الناس» فهم نسل آدم المخلوق من تراب. فماذا يخيفنا إن قام التراب علينا؟ «الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكُّل على إنسان. الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكل على الرؤساء» (مز 118: 8،

9). «قام الناس علينا» ولكن «الرب نوري وخلاصي، ممَّن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممَّن أرتعب؟.. إن نزل عليَّ جيشٌ لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن» (مز 27: 1، 3). نحن تراب كما أنهم تراب، لولا أن الذي وقف إلى جوارنا نحن التراب هو الرب الذي نفخ في التراب فجعل منه نفساً حية. «رب الجنود معنا، ملجأنا إله يعقوب» (مز 46: 7).

ثانياً ـ إحسانات الرب العديدة
(آيات 3 –7)

1 – النجاة من الابتلاع: «إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا» (آية 3). حمي غضب الأشرار على شعب الله وأرادوا أن يبتلعوهم أحياء دفعة واحدة كأنهم الهاوية، مثلما حدث لعائلة قورح، الذين «انشقَّت الأرض التي تحتهم، وفتحت فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة» (عد 16: 31–33). وفي كل جيل حاول الأشرار أن يبتلعوا المؤمنين أحياء ويقضوا عليهم فلا يبقى لهم ذكر. وتكررت محاولاتهم بطول التاريخ، حتى سُمِّيت الكنيسة بحق «كنيسة الشهداء». ومع هذا كان دم الشهداء بذار الكنيسة! وهذا ما فعله نبوخذنصَّر بالشعب الذي صرخ: «أكلني، أفناني نبوخذنصَّر ملك بابل. جعلني إناءً فارغاً. ابتلعني كتنِّين وملأ جوفه من نعَمي. طوَّحني» (إر 51: 34). ولكن الرب أنقذ شعبه وشجعهم بالقول: «إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلِّصك» (إش 43: 2، 3). ولهذا قدَّم الحكيم لابنه نصيحة ليُبعده عن مسايرة الأشرار، فقال: «يا ابني، إن تملَّقك الخطاة فلا ترضَ. إن قالوا: هلمَّ معنا نكمن للدم البريء باطلاً، لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب.. يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم» (أم 1: 10–12، 15).

2 – النجاة من الغرق: «إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا. إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية» (آيتا 4، 5). عندما تجد عداوة العالم ثغرة فإنها تندفع منها بقوة لتجرف أمامها شعب الله. وأمام فيضانات الاضطهاد لا منقذ ولا ملجأ ولا ملاذ إلا الله. عندما شعر المرنم بالمياه الطامية التي تشبه السيل النازل من جبل يجرف أمامه كل شيء، ولا يستطيع إنسان أن يقف أمامه، صرخ: «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلَتْ إلى نفسي. غرقْتُ في حمأة عميقة وليس مقر. دخلْتُ إلى أعماق المياه. السيل غمرني.. رفَعَت الأنهار يا رب، رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها. من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب في العُلا أقدر» (مز 69: 1، 2 و93: 3، 4). «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19).

والمياه الطامية ترمز إلى الأعداء الذين يجيئون بكثرة كأمواج بحر هادرة غاضبة يهاجمون شعب الله. لكنه لن يهملهم ولن يتركهم، فكل من يسمع أقواله ويعمل بها، يشبه رجلاً عاقلاً بنى بيته على الصخر «فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبَّت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسساً على الصخر» (مت 7: 24). «لكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37).

3 – النجاة من الافتراس: «مبارك الرب الذي لم يُسلِّمنا فريسة لأسنانهم» (آية 6). يشبِّه المرنم الأعداء هنا بالوحوش المفترسة التي تنقضّ على فرائسها وتمزِّقها بأسنانها قبل أن تلتهمها، فلا ينقذ الفريسة إلا الراعي الصالح، الذي يناديه المرنم: «قُم يا رب. خلِّصني يا إلهي. لأنك ضربتَ كل أعدائي على الفك. هشَّمت أسنان الأشرار» (مز 3: 7). «يا ربُّ إلهي عليك توكلتُ. خلِّصني من الذين يطردونني ونجِّني، لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشماً إياها ولا منقذ» (مز 7: 1، 2). لقد حاول الأعداء أن يفعلوا الشيء نفسه بالمسيح، فقال المرنم على لسانه بروح النبوَّة قبل صلبه بألف سنة: «لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعةٌ من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ. أُحصي كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون. أما أنت يا رب فلا تبعُد. يا قوتي أسرع إلى نُصرتي. أنقذ من السيف نفسي، من يد الكلب وحيدتي. خلِّصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش. استجب لي» (مز 22: 16–21). وقد سُمعت الصلاة، وقام المسيح من الأموات ظافراً منتصراً.

4 – النجاة من الفخ: «انفلتت أنفسُنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن انفلتنا» (آية 7). يشبِّه المرنم نفسه بعصفور تهدده فخاخ الصيادين. والصيادون يعرفون طبائع الطيور، فهي لا تقدر أن ترى الشبكة حتى تتجنَّبها، وإذا وقعت فيها لا تقدر أن تخلِّص نفسها منها. وما أسعد العصفور الذي له مخلِّص قوي يتدخَّل في الوقت المناسب فيكسر الفخ ويطلق العصفور، وينجي زملاءه العصافير الأخرى فلا يمسكها الفخ لأنه انكسر! وطوبى للنفس التي يسهر الرب عليها، وهي تقول: «عيناي دائماً إلى الرب، لأنه هو يُخرج رجليَّ من الشبكة» (مز 25: 15) وتذكر الوعد: «لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوبأ الخطر» (مز 91: 3).

وما أكثر فخاخ إبليس. قد يكون الفخ تعليماً غريباً، وقد يكون كبرياء المؤمن، أو شهوته المسيطرة عليه، وقد يكون سقوطه في بالوعة اليأس.. وهذه كلها يحطمها الله ويفلتنا منها، فنكون «متحيِّرين لكن غير يائسين، مضطهَدين لكن غير متروكين، مطـــروحين لكن غير هالكين» (2كو 4: 8، 9).

فلنقدم الشكر لله لأجل النجاة من الابتلاع، ومن الغرق، ومن أسنان الوحوش المفترسة، ومن فخ الصيادين، لأنه يفدي حياتنا من الحفرة (مز 103: 4).

ثالثاً ـ الثقة في المستقبل
(آية 8)

«عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض» (آية 8). يعلن المرنم ثقته في المستقبل لأن مصدر معونته ورجائه هـــو ملـــك الملوك، الذي بيده قلب الملك كجداول مياه، يُميلها إلى حيث شاء (أم 21: 1)، وهو خالق كل الأشياء بكلمة قدرته، صنع السماوات وما فيها والأرض وما عليها، وسيحفظنا حتى يحين وقت انتقالنا من أرضه إلى سمائه «ويفرح جميع المتكلين عليـــك. إلـــى الأبـــد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبّو اسمك. لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترسٍ تحيطه بالرضا» (مز 5: 11، 12).

الله هو هو، أمساً واليوم وإلى الأبد. في الماضي أخرج بني إسرائيل من مصر، وكسر فخَّ فرعون، وأغرقه مـــع جنـــوده فـــي البحر، فرنَّم موسى وبنو إسرائيل: «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأرفِّعـــه» (خـــر 15: 2). «اتَّكِلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخرَ الدهور» (إش 26: 4).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 اَلْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى الرَّبِّ مِثْلُ جَبَلِ صِهْيَوْنَ الَّذِي لاَ يَتَزَعْزَعُ، بَلْ يَسْكُنُ إِلَى الدَّهْرِ. 2أُورُشَلِيمُ الْجِبَالُ حَوْلَهَا، وَالرَّبُّ حَوْلَ شَعْبِهِ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ. 3لأَنَّهُ لاَ تَسْتَقِرُّ عَصَا الأَشْرَارِ عَلَى نَصِيبِ الصِّدِّيقِينَ، لِكَيْ لاَ يَمُدَّ الصِّدِّيقُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الإِثْمِ. 4أَحْسِنْ يَا رَبُّ إِلَى الصَّالِحِينَ، وَإِلَى الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ. 5أَمَّا الْعَادِلُونَ إِلَى طُرُقٍ مُعَوَّجَةٍ فَيُذْهِبُهُمُ الرَّبُّ مَعَ فَعَلَةِ الإِثْمِ. سَلاَمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ.

«الرب حول شعبه»

يعلن هذا المزمور أمان المؤمن الدائم بسبب قوة الرب وأمانته اللتين لا تتغيران، مثل الجبل الثابت المقدس الذي بُني عليه الهيكل. ويتكلم المرنم عن ذكريات حلوة يتبادلها المؤمنون بعد أن وصلوا إلى جبل صهيون معاً. والاسم «صهيون» قد يعني «يصون» أو «يحمي». وقد يعني «صهوة» بمعنى قمة جبل أو قلعة. وجبل صهيون، أي جبل الحصن، جبلٌ عالٍ ثابت لا يتعرض للزلازل وليس من السهل أن يغزوه عدو، ظل كما هو منذ كان في يد اليبوسيين حتى استولى عليه داود عام 1003 ق م، وأطلق عليه اسم «مدينة داود» (2صم 5: 7) ونقل إليها تابوت العهد (2صم 6: 12). ثم وسَّع سليمان مدينة أورشليم شمالاً حتى شملت جبل المُريّا الذي بنى عليه الهيكل عام 958 ق م (2أخ 1: 3)، وبعدها أُطلق اسم «صهيون» على كل مدينة أورشليم بما فيها الحصن وجبل المريا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – إعلان الثقة (آيات 1–3)

ثانياً – طلب الواثق (آيتا 4، 5)

أولاً ـ إعلان الثقة
(آيات 1-3)

1 – ثبات المؤمن: «المتوكِّلون على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع بل يسكن إلى الدهر» (آية 1). يُضرب المثل بالجبال في الثبوت وعدم التغيُّر، ويُضرب المثَل بجبل صهيون لأن الله أقام هيكله فيه، ويقول الوحي: «إن الرب أسَّس صهيون، وبها يحتمي بائسو شعبه» (إش 14: 32). والمتوكل على الرب هو الذي يضع ثقته فيه عملياً، وليس نظرياً فقط، ويتصرف على أساس هذه الثقة، ويسلك طبقاً لهذا التعليم، فيُقال عنه: «سعيدٌ هو الرجل الذي يترأف ويُقرض. يدبِّر أموره بالحق، لأنه لا يتزعزع إلى الدهر. الصِّدِّيق يكون لذِكْرٍ أبدي. لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متَّكلاً على الرب. قلبه ممكَّن فلا يخاف» (مز 112: 5–8). والمتوكل على الرب يشبه الطفل الذي يرفعه أبوه على مكان عالٍ ثم يطلب منه أن يقفز، فيقفز إلى حضن أبيه بدون خوف قفزة الإيمان المحسوبة، حتى في الظلام، لأنه يثق أن أباه لن يتركه يسقط، فيخاطر بالقفز، وكأنه يقول مع الرسول بولس في السفينة الموشكة على الغرق: «وصرنا نُحمَل» (أع 27: 15)، فلم تكن الأمواج هي الحاملة، بل رب الأمواج. «ليس مثل الله.. الإله القديم ملجأ، والأذرع الأبدية من تحت» (تث 33: 26، 27).. «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (1بط 7: 5).

يعلم المؤمن أن «الرب قد ملَك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. اتَّزر بها. أيضاً تثبَّتت المسكونة. لا تتزعزع» (مز 93: 1). ويثق في الوعد: «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أما إحساني فلا يزول عنكِ، وعهد سلامي لا يتزعزع. قال راحمكِ الرب» (إش 54: 10)، فيرنم: «جعلتُ الربَّ أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز 16: 8).

كان مارتن لوثر يحب مزمور 46 الذي ألهمه الشجاعة، فوقف في وجه المقاومة العنيفة والتهديد بالقتل. ولا زال اللحن الذي وضعه ليرنم به مزمور 46 مصدر إلهام للمؤمنين، وهم يرتلون: «الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح» (مز 46: 5) أي في ساعات الظلمة الشديدة قبل الفجر، لأنهم متأكدون أن نور النهار سيهزم الظلمة مهما كانت كثيفة!

2 – حضن المؤمن: «أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (آية 2). حقيقة أن الجبال تحيط بأورشليم هي حقيقة جغرافية لا تنكرها عين. وحقيقة احتضان الله للمؤمن حقيقة روحية ثابتة ستبقى من الآن وإلى الدهر تضمن له الأمان، لأنه يعيش داخل قلعة حصينة. «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع» (أم 18: 10). فالرب يحيط بالمتوكل

عليه كالجبل الثابت الذي لا يتزعزع، محققاً وعده الصادق: «أنا، يقول الرب، أكون لها سور نار من حولها، وأكون مجداً في وسطها» (زك 2: 5). وهذا ما اختبره داود فقال: «إن أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمُّني» (مز 27: 10).

في كل مرة نتقدم فيها لممارسة فريضة المعمودية، لنضُمَّ للرب شخصاً نال الخلاص، نقرأ نصَّ الإنجيل عن الأمر بالمعمودية، فنجده مسبوقاً بوعدٍ من المسيح، ومتبوعاً بوعدٍ آخر منه. أما الوعد السابق فيقول: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت 28: 18). فالمسيح صاحب كل السلطان في السماء ليغفر خطايا الذين يعترفون بها ويعزمون على تركها، ويستجيب الصلاة، ويشفع في المحتمين به، ويرسل ملائكته لخدمتهم. أما سلطانه على الأرض فواضح من أنه لا زال الحي الذي يُجري المعجزات، وينقذ كل من يلوذ به.. أما الوعد الذي يتبع المعمودية فهو: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28: 20). وهذان الوعدان يعلِّماننا أن الرب يضمُّ كل معمَّد إلى صدر محبته كل الأيام إلى انقضاء الدهر.

3 – نصرة المؤمن: «لأنه لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصدِّيقين، لكيلا يمدَّ الصدِّيقون أيديهم إلى الإثم» (آية 3). ترمز العصا إلى السلطان والتحكُّم. ولكن بسبب وعود الرب لخائفيه لا يستمر تحكُّم الأشرار في نصيب الصديقين، فيقولون: «كسَّر الرب عصا الأشرار، قضيبَ المتسلِّطين» (إش 14: 5). قد تجيء عصا الشرير على نصيب الصديقين بعض الوقت، وقد يتحكَّم الأشرار في المؤمنين أحياناً، لكن هذا لا بد أن ينتهي، لكيلا يمدَّ الصدِّيقون أيديهم إلى الإثم. فالمؤمنون هم شعب الله، وطالما كانوا في العالم سيكون لهم ضيق. إنهم ليسوا محصَّنين ضد التجارب. وسيجيء الوقت الذي سيحطم فيه الرب عصا الأشرار، فيُقال للمؤمنين: «ويكون في يومٍ يريحكَ الربُّ من تعبك، ومن انزعاجك، ومن العبودية القاسية التي استُعبِدتَ بها.. وتقول: كيف باد الظالم؟» (إش 14: 3، 4).

دعا الإمبراطور تراجان قسيساً أراد أن يسخر منه ومن مسيحه، فسأله: «ماذا يفعل نجاركم الناصري الآن؟» فأجابه: «يُجهِّز نعشاً للإمبراطورية الرومانية». وقد كان! فقد آمنت بالمسيح هيلانة أمُّ قسطنطين، الإمبراطور الروماني المسيحي الأول، ثم عقد قسطنطين المجمع المسكوني المسيحي في نيقية عام 325 م، حضره 318 أسقفاً، كان أحدهم قد فقد عيناً من التعذيب، فقبَّل الإمبراطور مكان العين المقلوعة، وأمر بنسخ خمسين نسخة من الكتاب المقدس على نفقة الدولة الرومانية، وأن تكون المسيحية ديانة الدولة الرسمية.. وهكذا صنع الناصري النعش. وسيأتي اليوم الذي فيه تجثو للمسيح كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. فلن تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين.

لم يخشَ المرنم أن تسرق عصا الأشرار ماله، أو تُنهي حياته، بل خاف أن تمتدَّ يد الصديقين إلى الإثم، لأن المسيح يقول لهم: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها» (مت 10: 28).. لن يستقر سلطان الأشرار على نصيب المؤمنين، وهم يهتفون: «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي. حبالٌ وقعت لي في النُّعماء، فالميراث حسنٌ عندي.. لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني» (مز 16: 5، 6 و27: 5).

ثانياً ـ طلب الواثق
(آيتا 4، 5)

1 – طلب الإحسان للصالحين: «أَحْسِن يا رب إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوب» (آية 4). الإحسان هو العطاء لمن لا يستحق، وهو من طبيعة الرب الصالح الذي يعطي بسخاء ولا يعيِّر (يع 1: 5). ولا يوجد بين البشر من هو صالح كامل الصلاح ولا مستقيم كلي الاستقامة، فليس فيهم من يستحق هذا الإحسان، لأنه ليس من يعمل صلاحاً، والجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (مز 14: 1–3 ورو 3: 23). والصالحون المستقيمون هنا ليسوا أصحاب الصلاح والاستقامة الكاملَيْن المطلقَيْن، بل أصحاب النيَّة الصالحة المستقيمة التي لا تطلب إلا طاعة الرب، وهم الأمناء المخلِصون للرب بعزم القلب، مثل الرسول بولس الذي قال: «ليس أني قد نلتُ أو صرتُ كاملاً، ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أُدركني أيضاً المسيح يسوع» (في 3: 12). والرب في محبته الكثيرة يُحسن إلينا، لا لأننا نستحق، ولكن لأنه «رحيمٌ ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى أُلوف، غافرُ الإثم والمعصية والخطية» (خر 34: 6، 7). قال عنه آساف المرنم: «إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب» (مز 73: 1). هم البذار «الذي في الأرض الجيدة.. الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح، ويثمرون بالصبر» (لو 8: 15). وهو ما يصف به نحميا نفسه في صلاته: «اذكُرْ لي يا إلهي للخير كلَّ ما عملتُ لهذا الشعب.. فاذكُرني يا إلهي للخير» (نح 5: 19 و13: 31). وتظهر عظمة إحسانات الرب في:

(أ) **الخلاص**: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أف 2: 8). هذا أعظم إحسان يقدمه الرب لكل من يؤمن ويثق أن دم المسيح يطهره من كل خطية «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه (عدالته) من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله» (رو 3: 24، 25).

(ب) **الغفران**: «إنه من إحسانات الرب أننا لم نفنَ، لأن مراحمه لا تزول» (مرا 3: 22). وعندما ندعوه: «اغفر لنا ذنوبنا» نثق أنه يسمع ويستجيب لأنه «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرَح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي 7: 19).

(ج) **تحقيق الوعود**: ما أكثر وعود الرب التي تحققت ، وأعظمها أن نسل المرأة (المسيح) يسحق رأس الحية (الشيطان) (تك 3: 15)، وهو الوعد الذي تحقق في نصرة المسيح وقيامته من بين الأموات، وهكذا «ابتُلِع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» (1كو 15: 54، 55). ويحقق الرب الوعود ويبقى أميناً لنا حتى إن كنا نحن غير أمناء له. لا يغيِّر طبيعته (2تي 2: 13). قال يشوع: «لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إسرائيل. الكل صار.. وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم» (يش 21: 45 و23: 14).. وقال سليمان بعد صلاة تدشين الهيكل: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (1مل 8: 56).

(د) **الإنعام بالخير**: «إحساناتِ الرب أذكر. تسابيحَ الرب. حسب كل ما كافأنا به الرب، والخيرَ العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه، وحسب كثرة إحساناته» (إش 63: 7). وقال داود وهو يقدم تبرعه لبناء هيكل الرب: «مَن أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن نتبرع هكذا! لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك» (1أخ 29: 14). وكل من يدرك إحسانات الرب يدفع عشور دخله للرب، لأن «المعطي المسرور يحبه الله» (2كو 9: 7).

2 – طلب العقاب للآثمين: «أما العادلون إلى طرق مُعوجَّة فيُذهِبهم الرب مع فعلة الإثم» (آية 5). «العادلون» إلى طرق معوجة هم الذين يعدلون وجوههم نحو الشر والعوَج، كما فعل بنو إسرائيل لما قال لهم موسى: «قد أخطأتم إلى الرب إلهكم، وصنعتم لأنفسكم عجلاً مسبوكاً، وزُغتم سريعاً عن الطريق التي أوصاكم بها الرب» (تث 9: 16). وهم مثل ابني صموئيل اللذين «مالا وراء المكسب، وأخذا رشوةً، وعوَّجا القضاء» (1صم 8: 3). وهم مثل شَمْعِيا الذي أخذ رشوة من الأعداء ليعطل نحميا عن بناء سور أورشليم (نح 6: 12، 13)، فإن «حماقة الرجل تعوِّج طريقه» (أم 19: 3) فيضم صوته مع العادلين وجوههم بعيداً عن الله، وهم يقولون له: «ابعُد عنا. وبمعرفة طرقك لا نُسر» (أي 21: 14). فيتركهم الرب لعوجهم وضلالهم فيمضون إلى مصيرهم المخيف مع فاعلي الإثم. لقد اختاروا العوج، وعليهم أن يحتملوا عقاب اختيارهم الأعوج، ويُقال لهم: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته» (مت 25: 41).

* * *

ويختم المرنم مزموره بالقول: «سلام على إسرائيل» (آية 5). فمن هم المقصودون بالحصول على السلام؟ يقول الوحي: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسَبون نسلاً» (رو 9: 6–8).. وهذا يعني أن هناك «إسرائيل» المولود من نسل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إسرائيل الجسدي. وهناك «إسرائيل الله» وهم كل الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب.. إسرائيل الجسدي لا ينال البركة لأنه رفض المسيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 11، 12). «إسرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المسيح، ويحملون في أجسادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إسرائيل الله» (غل 6: 12–16). سلام على إسرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.